ويتمتعون بشباب فياض كانوا الشومريم ، وقد قابلتهم اول الامر في القدس ومن ثم في يافا ، ونادرا ما كنت اصادفهم انما كنت احتفظ لهم دائما باعجاب ومحبة . والشومريم تعني الحراس ، وكانوا يرتدون عادة اللباس العربي ويعتمرون بالكوفية والعقال ويتسلحون بمسدس يخفونه تحت ردائهم ويركبون الجياد . ووظيفة الشومريم هي حراسة المستعمرات اليهودية من البدو الذين كانوا يغزونها ويستولون على المحاصيل والمواشي ، وقد شهدت، وانا صبي صغير ، اكثر من واحد من الاشتباكات بين البدو والشومريم اثناء زيارتي لعمي ، حيث تقرع الاجراس في برج روحوبوت ، فيهرع المزارعون راكضين او راكبين الخيل والحمير الى موقع الاشتباك بين البدو الغزاة الذين كان يشح عليهم الماء والطعام في اواسط الصيف فكانوا يهاجمون المستعمرات اليهودية على الاطراف لعلهم يفوزون ببعض ضالتهم من الماء والزاد . وما زلت اذكر جيدا احدى هذه الاشتباكات التي كانت تحدث من حين الى اخر ، حيث يعود بعض الرجال الى المستعمرة من موقع الاشتباك والدماء تسيل من جباههم وانوفهم ووجوههم ، اذ لم يكونوا مجهزين باية تجهيزات للاسعافات الاولية ، وكانوا يأتون الى المستعمرة لعلهم يجدون طبيبا يداويهم . وكان هؤلاء الشومريم يتجولون ، ليلا ، على ظهور الخيل فرادى او ازواجا او ثلاثات ويطوفون في ارجاء المستعمرات وكانوا فتيانا شجعانا تشع الشجاعة من ملامحهم . وكانوا ماهرين في الرماية ويتكلمون العربية بطلاقة كما كانوا فتيانا مشبوبي العواطف يناسوننا في مغازلة الفتيات ، لانه ما ان تقع انظار الفتيات على احد الشومريم مارا في المستعمرة حتى نصبح نحن صفرا . وكان الشومريم هؤلاء يمثلون صورة اليهودي الرومنطيقي وباكورة القوميين الذين اخذوا يتوافدون على فلسطين . وبعد ذلك اخذ هؤلاء القوميون ينظمون انفسهم في مزارع جماعية، اذ لم تكن كلمة كيبوتزات قد استحدثت بعد، وكان بن غوريون احد الذين ساهموا في عملية التنظيم هذه .

لم يكن هناك شعور معاد لليهود لدى العرب سواء كان من البدو او القرويين أو التجار، وما تطرقت اليه في حديثي انما هو مظهر من مظاهر التخلف في الشرق الاوسط . لم تثر الريب لدى العرب بأن اليهود كانوا قوميين صهيونيين الا بعد اعلان وعد بلفور . وكان الشومريم يتجولون بين المستعمرات فرادى لا كمجموعات ، رغم انهم كانوا منظمين سريا ، وكانوا يحصلون اتاوات لقاء المهمة التي يؤدونها ، فهم من هذه الناحية شأنهم شأن غيرهم من اليهود في فلسطين كانوا يمدون ايديهم طلبا للاعانات والصدقات ، وهذا من الامراض المتفشية في الشرق الاوسط ، لا سيما بين اليهود . وكان لدى الشومريم مبرر مقبول واكثر وجاهة لتلقي الاعانات مما لدى الجماعات الطفيلية الذين كانوا يمضون اوقاتهم جلوسا على مقاعد « اليشيفاه » اي كتاتيب وتكايا الطرق الدينية اليهودية في القدس ، او اولئك المزارعين الذين كانوا يتبخترون دون عمل بحلة كاملة الاناقة من قمصان منشاة الياقات وربطات عنق ، واحذية لماعة ، ويمضون سحابة نهارهم جلوسا يقرأون الروايات بلغة اليديش او العبرية ويصدرون اوامرهم الى من يعمل في خدمتهم من العرب : افعل كذا ، واعمل كيت ،... ثم يقدمون الفوانيز الى البارون روتشيلد والبارون هيرش لتسديدها . لم اصادف في فلسطين اي يهودي عامل ، فكنت اسمعهم يرددون طوال الوقت ، ليلا ونهارا ، اسم البارون روتشيلد والبارون هيرش . وكان موضوع الحديث في بيت عمي دائما هو : « ترى ماذا سيصنع البارون هيرش الان وهو لم يصنع هذا الى الان ولم يصنع ذاك »، مع انه كان عندهم اراض واسعة وكانوا ينتجون منها عنبا وخمرا ويصنعون نبيذا جيدا وينتجون الالاف المؤلفة من البطيخ الذي كانوا يبيعونه للعرب ، كما ان العرب بدورهم كانوا يبيعون لهم من محاصيلهم ، ولكن اليهود كانوا دائما يتوقعون « حلوكاه » هذه هي الكلمة بالضبط « حلوكاه » اي هبات واعانات ومنح مجانية دون مقابل ، فالعالم مدين لهم — فهم شعب الله المختار — كانوا دائما يعودون الى هذه النغمة . ان العالم يشعر بالغثيان والتقزز من الشعوب المختارة ، من الشعوب المفضلة على غيرها ، وكأن هتلر استقى عقيدته من توراتهم ليبرر مطامعه اللعينة واللاأخلاقية واللاانسانية في غزو اوروبا ومحاولته غزو العالم بأكمله والسيطرة عليه .

ولنعد مرة اخرى الى الوراء ، الى ايامي في القدس ثم في يافا ، في الجمنازيوم ، ان امتع الاوقات في السنوات الخمس التي قضيتها في الجمنازيوم هي عندما كنا نؤخذ في ايام السبت — ليس نؤخذ بل نذهب الى البحارة العرب ، حيث يأخذوننا مقابل